

تربية الأيام العشرة



كتبه أمام الكعبة

د/ خالد أبو شادي

فجر ١٣ رجب ١٤٢٤ - ١٠ سبتمبر ٢٠٠٣

اسم الكتاب

الإعتكاف

تربية الأيام العشرة

المؤلف

د / خالد أبو شادي

عدد الصفحات

٤٠

الناشر

طيبة للنشر والتوزيع

العنوان: ٢٤ شارع شريف حلوان - القاهرة

ت/ ٠١٠١٣٩٠٢٩٣ (٠٠٢)

Email: tibaadv@yahoo.com

رقم الإيداع

١٧٦٠٨ / ٢٠٠٣



دعاء ورجاء

حلّق بي في الملأ الأعلى

واغرس فينا أسمى معنى

طهـّرني من كـل ذنوبي

بدّل ســوء فعالي حُسنا

ردّ إلي سكينــة قلــبي

زاد التقوى أوشــك يفنى

أنبــت خلقــا آخر مني

غير الجنــة لا يتمنى

وأذق قلبي لحظــة قرب

واحدة وامنحني الأمنــا



تعريفه:

هو لزوم المسجد بنية طاعة الله تعالى، وهو مستحب باتفاق أهل العلم.

فقد قال الإمام أحمد: لا أعلم عن أحد من العلماء إلا أنه مسنون.

وقال الزهري رحمه الله: عجبًا للمسلمين! تركوا الاعتكاف، مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل.

وقته:

من نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب شمس يوم العشرين، ويخرج بعد غروب شمس ليلة العيد.

لأنه مهم

- كان رسول الله ﷺ إذا كان مقيما اعتكف العشر الأواخر من رمضان وإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين.
- ولما ترك ﷺ الاعتكاف مرة في رمضان قضاه في شوال.
- واعتكف ﷺ في العام الذي قبض فيه عشرين يومًا.



هديه في الاعتكاف

• كان النبي ﷺ إذا أراد أن يعتكف وضع له سريره وفراشه في مسجده، ثم يضرب عليه خباء مثل هيئة الخيمة، فيمكث فيه غير أوقات الصلاة حتى تتم له الخلوة، ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء، فيصلي الصبح، ثم يدخله**».

• وكان دائم المكث في المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان، من بول أو غائط، وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها حين قالت: «**.. وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً**»

• وكان ﷺ يؤتي إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه.

• وكان ﷺ لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، وذلك من أجل الانقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل، ففي الحديث عن عائشة أنها قالت: «**كان النبي ﷺ يمر بالمريض وهو معتكف، فيمر كما هو ولا يعرج يسأل عنه**».

• وأيضا عن عروة أنها قالت: «**السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع**».

مقاصد الاعتكاف العشرة

١- تحري ليلة القدر:

وهو المقصد الرئيسي من اعتكافه ﷺ إذ بدأ اعتكافه أول مرة الشهر كله، ثم اعتكف العشر الأواسط تحرياً لهذه الليلة المباركة، فلما علم أنها في العشر الأواخر من رمضان اقتصر اعتكافه عليها.

ويكفيك أنها ليلة يتحدد فيها مصيرك في العام المقبل، فساعات قلائل تغرس سعادة أيام وشهور، فما أغلى هذه الليلة التي عرف عبد الله بن عباس قدرها فأرشدك إليه وهو يفسِّر قوله تعالى:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

«يُكتب من أُمِّ الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر، حتى يكتب الحاج يحج فلان ويحج فلان».

٢- إصلاح القلب:

إن مدار قبول الأعمال الصالحة على القلب، قال رسول الله ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**». صحيح

وأكثر ما يفسد القلب: الشواغل التي تصرفه عن الله من شهوات الطعام والشراب والنكاح وفضول الكلام والنوم والصحبة مما يشتت أمر القلب ويفسد اجتماعه على ربه، لذا شرع الله تعالى لنا

طاعات تحمي قلوبنا من تبعات هذه الآفات، لتتعتق من أغلال الشهوات وتنطلق نحو الآخرة، وفي مقدمة هذه الأعمال.. الاعتكاف.

حين يغار الله عليك

يقول عبد القادر الجيلاني: «إذا صلح القلب لله عز وجل لا يدعه مع الخلق والأسباب، لا يدعه مع البيع والشراء، والأخذ والعطاء.. يميزه ويخلصه».

أخي..

هذه هي ملامح القلب الصالح ليس غيرها.. يغار عليه ربه، فيترك جسده مع البيع والشراء، أو وراء مكتبه الوظيفي، أو أمام كشف رصيده في البنوك، أما قلبه فهناك.. يجول في الملكوت، ويسرح في الجنات، ويطوف حول العرش.

٣- حفظ الصيام مما يفسده:

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: «**إذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ جوارحك**».

وليس فرصة أعظم من الاعتكاف لاقتناص هذا الكنز، فلا مجال فيه لإطلاق بصر أو مشاحنة خصم أو شجار زوج أو حسد قريب أو جرح لسان، لذا تستطيع أن تقطع نصف الطريق إلى إصلاح قلبك بحمايته مما يؤذيه وما أيسر ذلك في الاعتكاف، ولا يبقى عليك سوى النصف الثاني بأن تملأه حباً ووجلاً وعبادةً وعملاً، وهذه أيضا تجدها في الاعتكاف.



٤- تعلم الزهد:

وفي الاعتكاف ينام الإنسان على الأرض ويأكل على الأرض، ويأكل ما قُدِّم له، ولا يتطلع إلى ما ليس له، لذا يجني من وراء ذلك كله.. الزهد.

والزهد هو كما قال ابن تيمية: ترك ما لا ينفع في الآخرة.

أو هو كما عرفه الإمام الزهري لما سأله رجل: يا أبا بكر.. من الزاهد؟ قال: «**الذي لا يغلب الحرامُ صبره، ولا يمنع الحلالُ شكره**». فالزاهد الحق هو الصابر عن الحرام مهما تزين له، والشاكر على الحلال مهما غرق في نعم الله عليه وبُسِطت له.

وليس الزهد على درجة واحدة، ولكن بعضه أولى من بعض. قال إبراهيم بن أدهم: «الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة، فالزهد الفرض: الزهد في الحرام، والزهد الفضل: الزهد في الحلال، والزهد السلامة: الزهد في الشبهات».

٥- اختبار الإخلاص:

قال ذو النون المصري: لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص مثل الوحدة، ومن أحب الخلوة فقد تعلّق بعمود الإخلاص.

فالخلوة هي الماء الذي يسقي شجرة الإخلاص في القلب، وفي غيابها يزدهر الرياء وينمو العجب.

ولذا قال بكر بن ماعز: ما رئي الربيع متطوعاً في مسجد قومه إلا مرة واحدة.

وكان الحسن البصري يقسم: لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت خوفا من الرياء.

بل كان غير واحد من السلف يستحب أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها.

وهي وصية النبي ﷺ جاءك الاعتكاف ليعينك عليها ويفتح أبوابها على مصراعيها لك.. قال ﷺ: «**من استطاع منكم أن يكون له خبيء من عمل صالح فليفعل**». صحيح

٦- حب المكث في المسجد:

المسجد هو سفارة الله في الأرض

فكما أن سفارة كل دولة تعتبر ملكا لها وتابعة لسلطانها مع أنها مقامة على أرض دولة أخرى، فكذلك المسجد الذي يقع على الأرض لكنه بقعة انتزعت من السماء.

فضل المكوث في المسجد

ولأنك في اعتكافك تغرس ما ستجنيه بعد اعتكافك، ولأنك ستتعلم فيه ما سيبقى معك إلى قبرك، ولأننا ضيوف الله في بيته، وحق على المزور أن يكرم زائره إكراماً يليق بجلال الله، فإليك فضل المكوث في المسجد لتستحضره في اعتكافك وبعد اعتكافك.

- إن الذي يتعود المكث في المسجد إنما يبذر في قلبه بذرة: «**ورجل قلبه معلق بالمساجد**» ليجني من وراء ذلك استراحة في ظل العرش.

- إن الماكث في المسجد ينتظر الصلاة له أجر الصلاة وتستغفر له الملائكة.
- إن طويل المكث في المسجد موعود من رسول الله ﷺ بجواز الصراط إلى الجنة.
- انتظار الصلاة بعد الصلاة سبب في محو الخطايا ورفع الدرجات وهو من الرباط.
- المبكر إلى المسجد يدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام.. و«**من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق**». حسن
- إدراك الصف الأول الذي قال رسول الله ﷺ فيه: «**لو يعلمون ما في الصف الأول لكانت قرعة**». صحيح

ويكفيك أيها الساجد في الزوايا والمساجد أن تطرب لسؤال الله عنك وشوقه إليك، ففي الحديث: «**إن الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني أين جيراني؟ فتقول الملائكة: ربنا ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عُمّار المساجد؟**». صحيح

وحريّ بقلبك أن يبكي فرحًا -أخي المعتكف- وأنت تفتح ذراعيك وقلبك للصحبة الملائكية الطاهرة التي بشّرك بها الحبيب -وما أحلى بشاراته- حين قال: «**إن للمساجد أوتاداً، الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم**». صحيح

الغنيمة الباردة!!

بعث رسول الله ﷺ بعثاً، فأعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرة، فقال رجل: يا رسول الله! ما رأينا بعث قوم بأسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث، فقال: «**ألا أخبركم بأسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث؟ رجل توضأ في بيته فأحسن وضوءه، ثم تحمل إلى المسجد فصلى فيه الغداة، ثم عقب بصلاة الضحى، فقد أسرع الكرة، وأعظم الغنيمة**». صحيح

٧- حان وقت الفطام:

من أكثر الشهوات شيوعاً وتغلغلاً في مجتمعاتنا:

التدخين، وسماع الأغاني، ولزوم رفقة السوء، وتعلق القلب بالعشق، ومشاهدة ما يُبثّ في التلفاز من محرمات، وغير ذلك مما يجعل الإنسان عبد شهوته وأسير هواه وملك شيطانه، لذا تأتي فترة الاعتكاف لتنتشل المسلم من براثن هذه المهلكات بعد أن ابتلي بها كثير من شباب الأمة، ليدخل النور إلى القلب فيزيح الظلام، ويحل الأمن والسكينة بدل القلق والاضطراب، وتذوق النفس لأول مرة حلاوة الإيمان.

الحبس اللذيذ

ومما يعين المعتكف على ذلك حبسه في المسجد حيث لا يحل له الخروج منه، لأن المعتكف لو خرج مثلاً لشراء هدية أو زيارة صديق لبطل اعتكافه، فكيف إذا خرج المعتكف لأمر محرم كالتـــدخين

مثلاً أو مشاهدة التلفاز؟! وإذا كان خروج المعتكف بغير عذر يبطل الاعتكاف فمن باب أولى خروجه للمعصية، لذا كان الاعتكاف فرصة ذهبية للتخلص من أسر الشهوات تستطيع فيها أن تولد ميـــلادًا جديداً وتفتح صفحة جديدة مع الله.

٨- مدرسة الصبر:

أخي الحبيب:

حصان نفسك يحتاج إلى ترويض.. والترويض يحتاج إلى صبر، ولا فرصة مواتية لهذا كالاعتكاف لأن فيه:

- الصبر على ما فقد مما ألفته نفسك من أنـواع الطعام المختلفة التي كنت تأكلها في بيتك.
- الصبر على نوع الفراش الذي تنام عليه، فليس في المسجد سرير ولا فراش وثير كالذي تنام عليه في منزلك.
- الصبر على ما تجد في المسجد من مزاحمة الآخرين لك وعدم توفر الهدوء.
- الصبر عن شهوة الزوجة.

وإن أجواء المشقة التي يعيشها المعتكف بعيدا عن وسائل الراحة والترف لهي بمثابة معسكر تدريبي جاد ينتج الرجال ويُربّي الأبطال كما أشار الدكتور عبد الرزاق السنهوري رحمه الله حين رأى قاسمًا مشتركًا بين العظماء، فقال:

«وإن شيئًا يشترك فيه أكثر العظماء: حياة الشظف والفاقة التي عاشوها أول حياتهم، فنفخت في

أخلاقهم روح الصلابة، فأذاقوا الحياة بأسهم بعد أن أذاقتهم بأساءها».

الفرار من حر النار!!

ويعينك على الصبر في الاعتكاف: استشعار حلاوة الجزاء ويقينك بأن فيه الفرصة الذهبية للفرار من حر النار.

قال الأصمعي:

هجم عليَّ شهر رمضان وأنا بمكة، فخرجتُ إلى الطائف لأصوم بها هربًا من حر مكة، فلقيني أعرابي، فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه، فقلت له: أما تخاف الحر؟ فقال: من الحرِّ أفرُّ.

٩- الخلوة بالله عز وجل:

بالانقطاع عن الناس ما أمكن حتى يتم الأنس بالله عز وجل، والتفرغ لعبادته، والاستئناس بمناجاته، فإن أول المسير إلى الله الخلوة به، وأول ما ابتدأ به النبي ﷺ أن حُبِّب إليه الخلاء، فكان يخلو في غار حراء.

من ثمرات الخلوة الحلوة

قال ابن الجوزي:

«والله لقد رأيت من يُكثر الصلاة والصوم والصمت، ويتخشع في نفسه لباسه، والقلوب تنفر منه، ورأيت من يلبس فاخر الثياب، وليس له كبير نفل ولا تخشع، والقلوب تتهافت على محبته، فتدبرت

السبب فوجدته السريرة، فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر».

وصدق الشاعر إذ يقول:

يُخفي صنائعه والله مظهرها
إنَّ الجَميل إذا أخفيته ظهــرا

الخلوة أخت الدعوة

والخلوة أوجب للدعاة وأجدر بهم أن يلتزموها أكثر من غيرهم.

يقول شهيد القرآن سيد قطب:

«لابد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى.. لابد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت».

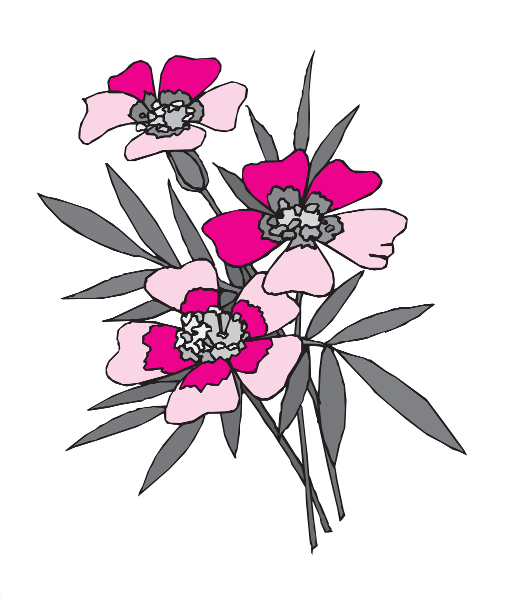
إلى أن يقول: «فالاستغراق في واقع هذه الحياة يجعل النفس تألفه وتستنيم له، فلا تحاول تغييره، أما الانخلاع منه فترة والانعزال عنه، والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصغير ومن الشواغل التافهة فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر منه، ويدرِّبه على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عُرف الناس».

١٠- مقصود الاعتكاف الأعظم:

أوجز ابن القيم فأنجز في تبيين مقاصد الاعتكاف فقال: «عكوف القلب على الله تعالى والخلوة به،



والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مرضاته وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيُعِدُّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لاَ أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا هو مقصود الاعتكاف الأعظم».





عبادات المعتكف

رأس العبادات ذكر الله

أحصى الإمام ابن القيم في كتابه «الوابل الصيب» أكثر من ثمانين فائدة للذكر.. ولعل من أهمها بالنسبة للمعتكف:

١- وقود المعتكف

من ثمرات المداومة على ذكر الله أنها تعطي الذاكر قوة تعينه على زيادة عمله خلال يومه، وأنت أيها المعتكف سواء كنت تخرج إلى عملك بالنهار أو تعتكف اعتكافًا كاملاً.. في حاجة ماسة إلى هذه الطاقة المستمدة من الذكر، فلا تنس هذا الوقود الذي بدونه ينقطع جهدك ويفتر عزمك ولا تصل إلى مرادك وهدفك.

وتذكّر أنه حين طلبت السيدة فاطمة خادمًا من رسول الله ﷺ قال لها: «**ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ إذا أويت إلى فراشك سبحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي ثلاثًا وثلاثين، وكبري أربعاً وثلاثين**» فقالت: رضيت عن الله ورسوله مرتين، فمن حافظ على ذلك أعطي قوة اثنين بدلاً من واحد، فتضاعف جهده واشتد عزمه وتزايد ثوابه.

ولذا قال ابن القيم: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغدّ سقطت قوتي.

٢- الذكر أعلى من الجهاد بشرط!!

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله**». صحيح

قال ابن حجر: «المراد بالذكر هنا الذكر الكامل، وهو ما اجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالشكر واستحضار عظمة الرب، وهذا لا يعدله شيء وأفضل من الجهاد وغيره».

ومن ثمرة هذا الذكر الكامل ما أخبرنا به ذو النون فقال: «من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه».

فليس الذكر ما كان بلسان عجول وقلب مشغول فما هذا بذكر، إنما الذكر ما جمع الحضور الكامل والاستحضار الواعي لعظمة الله وجلاله وامتلاء القلب خشوعًا ويقظة.

وهذا النوع من الذكر فقط هو الذي عناه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «الذكر للقلب مثل الماء للسمك: فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!».

٣- الموت ذاكراً

قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**». حسن

ورطوبة اللسان كناية عن سهولة جريانه كما أن يبسه كناية عن ضده، وجريان اللسان بالذكر عند

الموت هو ثمرة من ثمرات إدامة الذكر طوال الحياة، لأن من عاش على شيء مات عليه، والاعتكاف أعظم فرصة للوصول إلى ترطيب اللسان بذكر الله.

فحافظ أخي المعتكف على ذلك في اعتكافك وبعد اعتكافك عساك تموت موتة كموتة خالد بن معدان الذي كان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره فكان إصبعه معقوداً على هيئة التسبيح!!

كم ختمة ختمت؟

قال ﷺ: «**اقرأ القرآن في كل شهر، اقرأه في خمس وعشرين، اقرأه في خمس عشرة، اقرأه في عشر، اقرأه في سبع: لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث**». صحيح

أخي المعتكف:

هلاَّ جعلت من اعتكافك فرصة لتقوية علاقتك بكتاب الله تعالى، ولا شك أن الاكتفاء بتلاوة كتاب الله كله مرة واحدة فقط في هذه الأيام العشرة نوع من التفريط، إذ فيم ستقضي وقت اعتكافك إن لم تقضه في تلاوة كتاب الله تعالى؟!

موجز رائع لآداب التلاوة

قال الإمام القرطبي: «لا يمس القارئ القرآن إلا طاهراً..

وأن يقرأه وهو على طهارة.



وأن يستاك، ويتخلل فيطيب فاه.

وأن يلبس كما يلبس للدخول على الأمير لأنه مناج.

وأن يستقبل القبلة لطهارته، وإذا تثاءب يمسك عن القراءة.

وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتدائه للقراءة، ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا أخذ في القراءة لم يقطعها بكلام الآدميين من غير ضرورة.

وأن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلامه فيخلطه بجوابه.

وأن يقرأه على تؤدة وترسّل وترتيل.

وأن يستعمل ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به.

وأن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله.

وأن يقف على آيات الوعيد فيستجير بالله منه، ومن حرمته أن يقف على أمثاله فيمتثلها.

وأن إذا وضع المصحف ألا يتركه منشوراً، وألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً.

وأن يضعه في حجره إذا قرأه، أو على شيء بين يديه، ولا يضعه بالأرض.

وألا يخلّي يوما من أيامه عن النظر في المصحف مرة.

وأن يعطي عينه حظها منه.

وألا يقرأه بألحان الغناء كألحان أهل الفسق.



وألا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه.

وألا يقرأ في الأسواق، ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء.

وألا يتوسّد المصحف ولا يعتمد عليه، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله.

وألا يُصغِّر المصحف كمُصيحف ومُسيجد.

وألا يكتب على الأرض، ولا على الحائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثة.

وأن يفتتحه كلما ختمه، ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله، فقد كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا، وعن الحكم قال: كان مجاهد وعبدة بن قتادة بن أبي لبابة وقوم يعرضون المصاحف، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا: احضرونا فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن».

أيهما أولى: الإسراع أم الترتيل؟!

اتفق الجمهور على أنه لو تعارض الإسراع والترتيل روعي الترتيل.

قال ابن حجر: «والتحقيق أن لكل منهما جهة فضل بشرط أن يكون المسرع لا يُخلّ بشيء من الحروف والحركات والسكنات الواجبات، ولا يمنع أن يفضل أحدهما الآخر، وأن يستويا فإن من رتّل وتأمّل كمن تصدّق بجوهرة ثمينة، ومن أسرع كمن تصدّق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات،

وقد يكون بالعكس».

اختبر تدبرك

إذا قرأت القرآن في اعتكافك وشعرت أن منسوب الإيمان في قلبك بعد القراءة مثله قبلها لم يزدد مثقال ذرة، فاتهم قراءتك وراجع نفسك، وابتداءً من اليوم:

لا تجعل همك في قراءتك آخر السورة..

فإن التدبر هو عبادة الوقت، ولن تجد مكانًا ولا زماناً ولا فرصة أعظم بركة ولا أيسر مؤونة لتحصيله من هذه الأيام..

وإذا أنت لم تجد لذة التدبر أيام الاعتكاف فأنى لك أن تجدها أيام الانشغال والازدحام؟

لذا نوصيك ونقول: حذار أن ترفع صوتك في معتكفك بتلاوة أو ذكر ليلاً أو نهارًا لتعين غيرك على التدبر وتسد عليه مداخل الشيطان.

الشافعي القدوة

فإن أبيت إلا الإسراع في القراءة، فلا بأس أن تجعل لنفسك ختمتين: ختمة قراءة وختمة تدبر، تقتدي في ذلك بالشافعي الذي كان له مع كتاب الله ثلاث ختمات: ختمة كل جمعة، وأخرى كل سنة، وثالثة كل عشرين سنة!!

احفظ القرآن في ستين يوما!

الشيخ عبد الرحمن الدوسري «ت: ١٣٩٩ هجري»،

حفظ القرآن العظيم في ٦٠ يـوماً فقط، بمعـدل نصف جزء يومياً، **فكيف تيسر له ذلك؟!**

قال رحمه الله: «حفظت القرآن الكريم في شهرين، انقطعت عن الناس، وأغلقت عليّ مكتبي، ولم أخرج منه إلا للصلاة فقط».

أخي المعتكف:

اعتكف هذا الرجل ستين يوماً فحفظ ثلاثين جزءاً، وأنت اعتكفت عشرة أيام فكم ستحفظ من كتاب الله؟

أخي..

لو حفظت كل يوم من أيام اعتكافك صفحة واحدة لأتممت في نهاية اعتكافك جزءاً من القرآن، فلو حفظت في اليوم صفحتين لأتممت جزأين، ومن زاد زاد الله له، وبهذا ومثله تكون ثمار اعتكافك مباركة وأفراح عيدك مضاعفة.

ما أفضل الكلام بعد القرآن؟!

قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الكلام: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» صحيح

والسر في ذلك أنها جامعة لجميع معاني أنـواع الذكر، فالتسبيح تقـديس وتنزيـه عن النقائص، والتحميد اعتراف بنعم الله التي لا تُعدّ ولا تحصى، والتهليل توحيد الله والتبرّؤ عن الحول والقـوة إلا به، والتكبير اعتراف بالتقصير قولاً وفعلاً.

وعن سبب ذلك أيضا قال ابن القيم: «الثناء أفضل



من الدعاء، ولهذا عدلت الإخلاص ثلث القرآن، لأنها أخلصت لوصف الرحمن والثناء عليه، ولذا كان سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر أفضل الكلام بعد القرآن».

الاستغفار كماً!!

قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن تَسُرَّه صحيفته، فليكثر من الاستغفار**». حسن

وهي نفس وصية لقمان لابنه حين قال له: يا بني.. عود لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائل.

ولذا كان رسول الله ﷺ أكثر المستغفرين، فقد روى مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **ما رأيت أكثر استغفاراً من رسول الله** ﷺ.

وقال مكحول: **ما رأيتُ أكثر استغفاراً من أبي هريرة**

وقال أصحاب مكحول: **كان مكحول كثير الاستغفار.**

عجباً لهؤلاء القوم.. كانوا يروون الحديث بأفعالهم قبل أن روايته بألسنتهم، فكان أحدهم يعمل بالحديث قبل أن يُحدِّث به.. يرى ذلك من شروط روايته وتبعات حمله.

وقد بلغ من أهمية الاستغفار أنه وإن غيّب الموت لسانك عنه قام إخوانك بهذا الدور نيابة عنك: منفذين وصية النبي ﷺ الذي كان إذا فرغ من دفن ميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل**». صحيح

الاستغفار نوعاً!!

لكن استغفار المعتكفين ليس أي استغفار، لكنه استغفار يتجاوز الحروف والكلمات إلى التأمل في عاقبة الذنوب والسيئات التي ارتكبها المعتكف طوال عامه الفائت ثم نسيها وآن له الآن أن يذكرها، ثم يتأملها تأملاً طويلاً يبعثه على البكاء خوفاً من عاقبتها وندماً على اقترافها، ليكون من بركة هذا البكاء:

التوبة.. والإنابة.. والعزيمة.. والرشاد

ليس في رمضان فحسب بل وبعد رمضان، هل عرفت الآن أيها المعتكف معنى الاستغفار؟!

الصلاة على النبي ﷺ

سيتيح لك الاعتكاف الخلوة والهدوء التي تجعل لصلاتك على نبيك مذاقاً أحلى ومعنى أسمى..

ستصلي عليه فتتأمل حاله وهو يقذف بالحجارة في الطائف فتدمى قدما نبي مرسل من أجلك.

وتصلي عليه مرة أخرى فتتذكر إلقاء سلى الجزور عليه ومحاولات خنقه وقتله أمام الكعبة من أجلك.

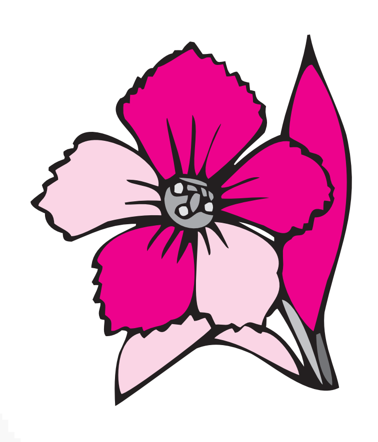
وتصلي عليه ثالثة فتستحضر شج رأسه في أحد وجروحه وآلامه بقتل أصحابه وأحب الناس إليه من أجلك.

وتصلي عليه رابعة فتتذكر دعاءه لأمته وأنت منها وحرصه عليك وادخاره شفاعته لك وذلك أيضا من أجلك.

وتصلي عليه خامسة فيذوق قلبك طعم وصول خبرك إليه عن طريق رسول ليس كأي رسول، بل هو ملك كريم وكَّله الله بهذه المهمة ليعرف الرسول محبتك له التي أطلقت لسانك بذكره، فيذكرها لك ويشفع لك بها يوم القيامة..

قال رسول الله ﷺ: «**من صلى عليَّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة**». حسن

وبذلك توصلك الصلاة على النبي ﷺ إلى محبته حباً صادقاً من قلبك فتقتدي به قولاً وفعلاً، فلا تكون الصلاة عليه مجرد كلمات يرددها اللسان ويغفل عنها الجنان، بل كنزاً مليئاً بجواهر ثمينة لا تعد ولا تحصى.





(سموم الاعتكاف!!)

من أبغض الخلق إلى الله... معتكف!!

قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**». صحيح

والإلحاد ليس الكفر فحسب كما هو شائع، وإنما هو الميل عن الحق دقّ هذا الميل أو عظُم، والحرم هو كل مكان مقدّس كمكة والمدينة والمساجد، أو زمان مقدّس كيوم الجمعة من أيام الأسبوع، وشهر رمضان من شهور العام، والعشر الأوائل من ذي الحجة وغيرها من مواسم الخير.

وأنت أيها المعتكف اجتمع لك الاثنان معاً:

الزمان المقدس وهو العشر الأواخر من رمضان.

والمكان المقدس وهو المسجد.

فحذار أن تعصي الله في بيته أثناء اعتكافك للعشر الأواخر فتكون من أبغض خلقه إليه، فتكون ممن أساء وهو يظن أنه قد أحسن، وعصى من حيث أراد أن يطيع.

وقد أسميت هذا الباب (سموم الاعتكاف) لخطورتها وأثرها على القلب في الاعتكاف وبعد الاعتكاف، وأهم هذه السموم:

١- فضول الكلام:

لا تستطيع التدرب على إمساك لسانك عن فضول

الكلام في وقت كما هو أثناء الاعتكاف، وفضول الكلام أول خطوة في طريق الكلام المُحرَّم، من وقاه الله منها فقد عصمه من كثير من الزلل. قال رسول الله ﷺ: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**».
حسن

ما هو فضول الكلام؟!

قال عطاء بن أبي رباح: «إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يُعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه».

لا يليق بالمعتكف

قال إبراهيم بن سليمان: كنت جالساً مع سفيان، فجعل رجل ينظر إلى ثوب كان على سفيان، ثم قال: يا أبا عبد الله! أي شيء كان هذا الثوب؟ فقال سفيان: كانوا يكرهون فضول الكلام.

أخي المعتكف..

هل يليق بك أن تتحدث عن أخبار الدنيا وأنت ما اعتكفت إلا هروبًا من الدنيا، وتجاذب غيرك

أطراف الحديث عن الماديات وأنت مُحلّق في أجواء الروحانيات؟! وتلهيك أخبار الأولاد والزوجة عن أفضال الأذكار والخلوة؟!

٢- فضول الأكل:

أخي..

قلة الطعام توجب رقة القلب وانكسار النفس وضعف الهوى وقهر الغضب، كما أنها تطلق المرء من قيود الكسل والدعة والخمول.

أخي..

عدم اهتمامك بتنويع الأكل والبحث عنه سيوفر لك وقتا في معتكفك أنت في أمس الحاجة إلى صرفه في الذكر والطاعات.

أخي..

اسمع معي إلى همة عالية في غير رمضان ننقلها عن أبي الوفاء ابن عقيل: «وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي حتى أختار سفّ الكعك وتحسّيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ توفراً على مطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها».

رحمك الله أبا الوفاء.. فما كنت تصنع في رمضان؟!

لماذا الأكل يا معتكف؟!

أخي المعتكف..

هل لك في أن تفتك بالشيطان من حيث أراد أن يفتك بك؟! وتهزمه من حيث أراد أن يهزمك؟!

وتقلب السحر على الساحر؟!

إذا رغبت في ذلك فما عليك إلا أن تقتدي بعبد الرحمن بن الأسود الذي كان لا يأكل الخبز إلا بنية. قيل لراوي الخبر: وأي شيء في أكل الخبز؟! قال: كان يأكل الخبز فإذا ثقل عن الصلاة خففه بها، فإذا خفّف بها ضعف فأكل الخبز ليقوى، فكان أكله لها وتركه لها.

وبذلك يكون الأكل بابا من أبواب العمل بدلا من أن يكون نافذة مطلة على الكسل، ولا تعود تضيع دقيقة واحدة من اعتكافك ولو كانت في تناول طعام؟! فتأكل ولا نية لك سوى التقوي على القيام والصيام، فإذا أسرفت وأكثرت كان قدوتك في ذلك سفيان!

قال عبد الرزاق أحد تلاميذ سفيان الثوري: لما قدم سفيان علينا طبخت له فأكل، فلما انتهى من طعامه قام، ثم شدّ إزاره على وسطه، ثم قال: يا عبد الرزاق.. يقولون: اعلف الحمار ثم كَدِّه، ثم قام يصلي حتى الصباح!!

٣- فضول الصحبة:

أخي المعتكف:

أدمن أكثر الناس الاجتماع والخلطة حتى فقدوا القدرة على فعل الطاعات وحدهم بعيداً عن أعين الناس، فإن فضول الصحبة تؤدي إلى تجاذب أطراف الحديث والسمر، ومن ثم إغلاق باب الذكر وفتح أبواب اللغو وقسوة القلب والجدل والمراء

وفوات الأجر، هذا إن نجـا صاحبها من الحـرام كغيبة ونميمة ونحوهما من آفات الكلام.

قال الإمام ابـن القيم بعدما أشار إلى ما يفعله البعض من اتخاذ المعتكف موضع عشرة، ومجلبة للزائرين، قال: **فهذا لون.. والاعتكاف النبوي لون.**

٤- فضل المخالطة الوحيد

إن كان للمخالطة في الاعتكاف فضل فهو أن تنافس غيرك في طاعة الله ومرضاته، فإن كنت ستعتكف يومين أو ثلاثة فهناك من سيعتكف العشرة، وإن كنت ستختم القرآن مرة فهناك من سيختمه مرتين أو ثلاثة، وإن كنت ستقوم من الليل ساعة فهناك من سيقوم ثلث الليل ونصفه، لذلك ليكن شعارك في معتكفك وأنت تخالط غيرك:

إذا استطعت أن لا يسبقك أحد في دين الله.. فافعل.



وأخيراً.. ليس مستحيلاً

قال المنذر بن عبيد :

«تولى عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الجمعة فأنكرت حاله في العصر».

أنكر الناس حال عمر بعد ساعات من توليه الخلافة فما الحال معك أيها المعتكف بعد عشرة أيام؟!

هل سترجع للناس بغير الوجه الذي ذهبت به؟!

هل حسنت أخلاقك وزاد إيمانك
وعلت همتك وسما وجدانك؟!

أيليق بك بعد الطهر أن تتدنس؟!

بعد التدبر في آي القرآن أن تتأمل
في الغيد الحسان!!

بعد الاستيقاظ في السحر أن تنام عن
صلاة الفجر!!

بعد نصب الأقدام لله بالليل أن تسعى بها
إلى الحرام في النهار!!

أخي..

لابد لك من عزمة تثب بها إلى أعالي الجنة..
قف مع نفسك وقفة حزم.. وجدِّد عهدك مع ربك..
ليس التسويف الآن من الكياسة في شيء..
اطرق الحديد وهو ساخن..
فمازالت حرارة الإيمان في قلبك..
ومازال قرآن التهجد على لسانك..

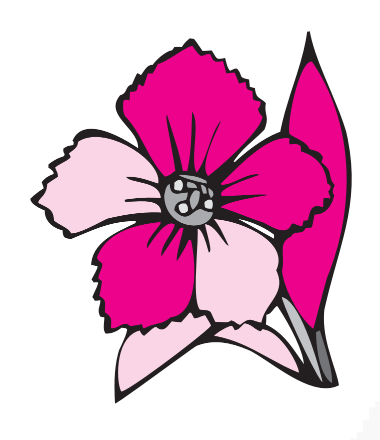
ومازالت دموع الخشية على خديك..
ومازالت عافية رمضان تسري في عروقك..
فاغتنم ثورة الإيمان الآن في العصف بكل عيوبك.

أخي..

لا تستصغر نفسك فأنت الذي نفخ فيك الله من روحه، ولا تحتقر جهدك فإنه سبحانه سيجازيك بمثاقيل الذر، ولا تتهمه فإنه أكرم الأكرمين، لو لم يكن يحبك ما كان اصطفاك للاعتكاف من بين خلقه، ولا يسر لك التلذذ بمناجاته وذكره، ولا أوقفك على خدمته، ولا أعطاك من فضله.

فلا تقابل إحسانه إليك بإساءتك إليه، وكرمه عليك ببخلك على نفسك،

وكن من عباد الله الشاكرين.





اعتكاف عشرة على عشرة

١- **الإيثار شعار الأبرار:** فمن آثر أخاه في الطعام والراحة والخدمة فقد سبق غيره، وحسبك بالإيثار سيدًا للأخلاق ومهرًا للمحبة وسمتًا للأخيار.

٢- **فرَّ من الجدال:** وكل ما يؤدِّي إليه ولو كان في الدين (في الفروع والأمور الخلافية): فذلك مدخل خفي من مداخل الشيطان يستهدف به إفساد أغلى الطاعات، وأن يقلب محبة المؤمنين عداوة وشحناء، ويبدِّد الأوقات لا في ما لا فائدة فيه بل في أفدح الخسارات.

٣- **الهاتف غير الهادف:** وأعجب من الجدال الانشغال بالهاتف الجــوَّال، فيتَّصل المعتكف بمعارفه وأصدقائه، ويبــاشر أعماله وصفقاتَه، ويتبادل الطرائف والرسائل مع أحبابه وأقرانه، فأين يقع هؤلاء من قول عائشة -كما في صحيح مسلم- أنها كانت تدخل البيت للحاجة والمريض فيه، فلا تسأل عنه إلا وهي مارة إذا كانت معتكفه.

٤- **التبكير والأجر الكبير:** استعد لاعتكافك جيدًا قبل حلوله بوقت كاف، فاستمع إلى العلماء واقرأ المقالات والصفحات، وانو بذلك إعلاء همتك وأخذ عدتك لدحر شيطانك والتخلص من كسلك وتوانيك، وبذلك تضمن دخول المعتكف ليلة الحادي والعشرين من رمضان وقد أخذت بكل أسباب النجاح والفلاح.

٥- **خلِّص نفسك:** من ذنوب ابتُليت بها لتبذل في سبيل التخلص منها كل ما تملك، ومن ذلك: فحش

الكلام أو الوقوع في الأعراض أو الحديث في ما لا يعني أو النوم عن الصلاة أو كسب الحرام أو صحبة السوء أو علو الصوت على والد أو والدة أو ظلم الزوج، ثم يضرع المعتكف إلى الله في طلب الخلاص، وقد واتته الفرصة السانحة في ليالي العشر.

٦- **العمى المستحب:** لا تكثر النظر في الغادي والرائح، وتعلّق على التوافه من الأمور: لو أن فلانًا فعل كذا أو لو أن فلانًا ترك كذا، بل اشغل قلبك بالأهم، وحسبك نفسك، وليسعك معتكفك، إلا إذا رأيت حرامًا تنهى عنه أو خيرًا ترشد إليه..

٧- **فن جمع الحسنات:** أرض المعتكف سوق يغزوه تجار كثيرون، يتنافسون في جلب أربح البضاعات وأثمن السلع، ومن أيسر العبادات مع ما فيها من عظيم الحسنات:

* جلبك التمر لإفطار الصائمين يوميًا.
* إيقاظك المعتكفين لصلاة التهجد لتنال مثل أجرهم.
* تبكيرك إلى الصف الأول ودنوك من الإمام.
* احتسابك الرباط بين الصلوات.
* حرصك على ركعتين بعد كل وضوء.
* بقاؤك على طهارة ووضوء دائمين.
* تبسمك في وجه المسلمين ومصافحتهم.

٨- **مغلق للتحسينات:** لا تجعل للدنيا من حديثك نصيبًا أثناء اعتكافك، وانصرف بعد الصلاة مباشرة إلى عبادتك في معتكفك، ولا تعط الآخرين فرصة ليضيعوا وقتك في ما لا ثواب فيه، فوحدة

قياس وقتك اليوم: اللحظات، فلا تضيع لحظة من كنز وقتك في غير فائدة.

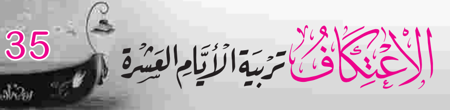
٩- **تربية الصمت:** ليكن كلامك عنوانه: (فليقل خيرًا أو ليصمت).. إن لم تجد خيرًا تقوله فالصمت بك أولى، مع ما في الصمت من تربية الإرادة وتهذيب النفس والتدبر النافع، فاحرص على أن تكون صامتًا عامة يومك إلا من ذكر الله وما والاه، وقد كان رسول الله ﷺ يتكلم بكلام لو عدَّه العادُّ لأحصاه، هذا في أيامه العادية فكيف في الاعتكاف؟ وقديمًا قالوا: لا تبع هيبة الصمت بالخبيث من الكلام.

١٠- **النوم اليسير:** أقلل من نومك في معتكفك، واجعل من دعائك: اللهم اشفني من النوم باليسير، فلعله يُختَم لك كما خُتم لصاحب هذه القصة:

قال هَمَّام بن الحارث: أَتيت معضَد بن يزيد العجلي وهو ساجد، فإذا به يقول: اَللهم اشفني من اَلنوم باليسير.

ومعضد هذا كان من كبار أصحاب عبد الله بن مسعود، ومن العابدين المجاهدين، وقد ظهرت ثمرة اجتهاده في حسن خاتمته، حين غزا أذربيجان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقُتِل بها شهيدًا رحمه الله.

وتعلَّم هَمَّام مما رأى وروى، فكان يقول في سجوده كما قال أستاذه معضد: اللهم اشفني من النوم باليسير، واجعل سهري في طاعتكَ، فاستجاب الله دعاءه، فكان لا ينام إلا هُنَيهَة وهو جالس!!



ويحك قلبي ما أقساك!!

هذه نفحات حياة أفاض الله بها عليَّ حين قرأت يوما حديث النبي ﷺ: **«أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك»**. صحيح

فوقفت فيه مع نفسي عدة وقفات، وخُضُت غمار بحر معانيه، وتلمَّستُ أنوار النبوة تُشِعُّ من ألفاظه تنير لنا الواقع بروعة الوحي، فجاءت هذه الكلمات تحت هذا العنوان، ذلك أن العبادة حياءً أجدى من العبادة خوفًا، وأكثر نفعًا من التحرك تحت تأثير سوط العقوبة، ودافعية العمل في هذه الحالة أقوى وأدوم، وفي كلٍّ خير، ولا يضرك من أي باب دخلت ما دمت داخلاً.. فاللهم افتح لنا أبواب فضلك، وأنر بصائرنا بأنوار فهمك، وأقبل بقلوبنا عليك واصرفها عمن سواك..

* يا نفس.. لو خيَّروك بين فقد بصرك وفقد بصيرتك.. بين عمى عينيك أو عمى قلبك.. اصدقيني القول.. ماذا كنت تختارين؟! ألا فاعلمي أن عمى القلوب أضل.. وأن جهلها أشد، وماذا جنى من أبصرت عيناه وعمي قلبه، حتى تاه عن طريق الجنة وهام على وجهه إلى أن وصل أبواب جهنم، في ظلمات الجهل إقامته وبين مردة الشياطين راحته!!

وعلى النقيض.. ما ضرَّ من عمت عيناه واستنار قلبه بنور الإيمان، أما بلغك خبر حبر الأمة وبحرها

عبد الله بن عباس رضي الله عنه حين قال بعد فقد بصره:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما
ففي لساني وسمعي منهما نور

* ناداني أبي يومًا فتأخَّرت عليه، فغضب عليَّ ولم يكلِّمني ثلاثة أيام.. وكم مرة ناديتنا ربنا لهداك، فأجبنا غيرك وعصيناك، ومع هذا ما هجرتنا ولا عاديتنا، واستمر فيض جودك رغم جرمنا وإساءاتنا، فيا خجلة الفؤاد انطقي.. ويا حمرة الخجل أطلي!! ويا قلب أخبرني: متى تتعلم فن الاعتذار وتسكب دمعة الانكسار؟!

* في عملي.. وضع لي السيد المدير أهدافًا شاقة تتحدى أهداف العام الماضي، وألزمني بها، وكان عليَّ أن أستجمع قواي الكامنة، وأحطِّم ما وُضِع لي، بل وأتجاوزه في إطار التنافس المحموم بيني وبين زملائي طمعًا في الترقية القادمة وفارق الراتب المنتظر، وهذا شأنهم كل عام.. كلما حطمت هدفًا أغروني بآخر، وكلما حُزت ترقية عُرِضت عليَّ أخرى، في متوالية لا تنتهي وطموح غيرِ متناه، وفي لحظة محاسبة نادرة وعند صفاء نفس.. سألتها: بالله.. أهكذا تصنعين مع ربك؟! هل لك أهداف أخروية توازي الدنيوية؟! هل كلما ارتقيتَ إلى درجة عند ربك طمعت في أعلى منها؟! هل كل طموحاتك من الأرض وإلى الأرض أم أن منها سماوي ؟! أكدحا للدنيا كدحًا!! أسعيا للحطام الزائل فحسب!! لو جعلت عُشر ذلك للآخرة لعبرت الصراط وسكنته الجنة منذ زمن!!

* أغضبتُ يومًا زوجتي، فباتت عليَّ غضبى، وبتُّ أنا على أشواك الأرق والسهاد أتقلَّب، ولم أسترح ويرجع لي صفاء بالي حتى اصطلحنا، والثمن الذي قدَّمته: هدية جميلة واعتذار رقيق طوى صفحة الشقاق ومحى ألم الفراق، فلماذا لم يكن هذا حالي مع ربي؟!

* تشارك اثنان من إخواني في تجارة، وكانا مثال الحب والوداد، حتى ألمت بهما ضائقة، فتسلل الشيطان ينزغ وبقلوبهما يعبث ليُلقي بينهما العداوة والبغضاء، وانتصب ميزان العدل بدلاً من الفضل، وطلبا القسمة بالسوية فلا تنازل من واحد للآخر عن ذرة جهد أو حفنة مال.

فواعجبًا!!

لا أحاسب نفسًا توردني المهالك غدًا
إن أنا أهملتها، بينما أتشدد في حساب
شريك تجارة على دنيا حلالها حساب
وحرامها عقاب؟!
أسامح نفسي في ما جنت في حقي
ولا أسامح أخي في شيء لو عفوت عنه فيه
لعفا الله عني، ولو سامحته في بعض حقي
لسامحني ربي في كل حقه!!

إلى متى ترخص عندنا الآخرة؟!

* سكنت مسكنًا جديدًا لم أكن أحلم به يومًا، وبعد فترة وجيزة بدأت أعتاد رؤية ما أنعم الله به عليَّ، وفقدت روعة الإحساس بهذه الخير، وسرعان ما بدأت نفسي تتطلع إلى مسكن أفضل، وهكذا أنا..

لا أقنع بشيء من الدنيا حتى أرجو غيره، ولا أحصِّل أملاً حتى أحلم بأفضل منه، فلماذا لم أتطلع للأغلى والأعظم؟! ولم لم أبذل جهدي الأكبر ووقتي الأثمن للمسكن الأروع والمستقر الأدوم؟! مع أنه لا يُملُّ على مدار الأعوام ولا يُطمح في غيره مهما دارت عجلة الزمان: الجنة وهل أغلى!!

* ما أسعد من مشى خفيفًا دون أحمال، والأسعد منه من مشى نقيًا دون أوزار!! كيف؟! سهلة يسيرة: كلما حملت ذنبًا أسقطته عن كاهلي بعزمة فتية وتوبة فورية، كلما أسأتُ أحسنت.. كلما سقطتُ علوت.. كلما أدبرت أقبلت، راحة القلب أهم من راحة الجسد يا خادم الجسد!!

* حالي يدل على شدة جهلي، فالقول قول مصدق والفعل فعل مكذِّب، وكأني ما قرأت يومًا: ألم يعلم بأن الله يرى.. ولا مررت أثناء تلاوتي بقوله سبحانه: يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله.. ازدواجية عجيبة.. تناقض ما له مثيل.. علم وجهالة.. إيمان ونكران.. حال عكس مقال.. كل هذا في يوم واحد.. وفي شخص واحد..

لو تأملت أمري لأدركت أنَّ من استحيا من غيره ولم يستح من نفسه فنفسه أخس عنده من غيره، ومن استحيا من نفسه ولم يستحه من ربه فما عرف ربه وما قدره حقَّ قدره، فمتى أعرفك ربي.. متى؟!

* نفد راتبي قبل نهاية الشهر، فأصابني القلق والاضطراب، وبذلت قصارى جهدي لأدبِّر المال

اللازم لنفقة العيال وإدارة شؤون البيت، ولم أشعر بالأمان إلا بعد أن حصلت عليه بعد مشقة وكبد، وحاصرني السؤال: وماذا عن رصيدي الآخر؟! ماذا إذا لم يكن هناك ما يكفيني لمعيشتي الأطول ورقدتي الأوحش، هناك.. في الغرفة المظلمة، كيف لا أشعر باضطراب لقلة الزاد وطول السفر؟! كيف لا يداهمني قلق وأنا أبدد رصيدي -على قلته- يمنة ويسرة بنظرة هنا وكلمة هناك؟! متى أطمئن قلبي بتدبير ما أحتاجه قبل فوات الأوان وخطفة الموت المرتقبة كل لحظة؟! متى أحمل همَّ الأمر الأصعب والمصير الأهم؟! متى.. متى.. متى؟!

* خوفي من الخلق لا يوازيه خوفي من الخالق.. خوف من غضب بشر مع الإستهانة بغضب ربّه البشر.. يشهد عليَّ فيه تكرُّر الإساءات ونقض العهودات مع التعويل على سابغ الرحمات دون النظر إلى هول العقوبات..

يا قلبي..

كم غرقتَ في بحار جهل..
لو عرفتَ قدره ما عصيته..
لو علمتَ بطشه ما خالفت أمره..
لو رأيتَ شدة العذاب ما استسغت طول الغياب..
لو عاينتَ صنعه بالعصاة والمجرمين لاستقمت على الطريق دون عون من رفيق.
لو.. لو.. لو.. وما تنفعك لو؛ بعد هجوم الموت ونزول القبر!!!